

7. الاستجابة المصرية للقضية الفلسطينية في خطابات رئيس الجمهورية "دراسة تحليلية للفترة من 2014-2023"، مجلة كلية الآداب بقنا، العدد الثاني والستون، يناير 2024. (مقبول للنشر)

باعتبار أن مصر هي قلب العروبة النابض وأكبر دولة عربية من حيث السكان والقوة العسكرية، فإنه تربطها بفلسطين العديد من الوشائج الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فضلاً عن الجغرافية والأمنية، فمن الناحيتين الاجتماعية والسياسية ظل معظم الأراضي الفلسطينية تحت السيادة المصرية لفترات طويلة من الزمن من جانب، ومن جانب آخر هناك العديد من المشتركات الاجتماعية بين الشعبين المصري والفلسطيني، أهمها: اللغة والدين وكثير من المكونات الثقافية الأخرى، ومن الناحية الجغرافية والأمنية، كانت الحدود الشمالية الشرقية لمصر مصدرًا لمعظم الغزوات التي جاءت على مصر تاريخيًا، وبالتالي، ظل الاهتمام بهذه الحدود ركنًا رئيسيًا من أركان الأمن القومي المصري على مر التاريخ، ولذا حرصت مصر، على الدوام، على تأمين هذه الحدود.

فلم تغب القضية الفلسطينية بكل مظهراتها عن المشهد السياسي المصري، سواء على مستوى النخبة السياسية والسياسة الخارجية المصرية الرسمية أو على المستوى الجماهيري، ولكن الاهتمام السياسي النخبوي بهذه القضية، وكذلك الجماهيري، مر بعدة انعطافات مؤثرة، حيث ظل هذا الاهتمام -على الدوام- رهناً بالسياقات العالمية والإقليمية والمحلية المصرية والفلسطينية. ومع ذلك، ظلت القضية الفلسطينية في وعي السياسي المصري باعتبارها قضية وجود.

وعلى هدي ذلك، دائمًا ما كانت تتأثر الاستجابة المصرية للقضية الفلسطينية بالعديد من المتغيرات الداخلية (سواء في الداخل الفلسطيني أو الإسرائيلي أو في الداخل المصري) والخارجية (سواء أكانت دولية أم إقليمية). وشأنها شأن كل المتغيرات السياسية، ظلت الاستجابة المصرية للقضية الفلسطينية رهينة بطبيعة النظام السياسي القائم (مع الأخذ في الاعتبار ديناميات القوى الدولية وتأثيراتها على الواقع المصري)، وخصوصًا شخص رئيس الجمهورية، ففي حين سيطرت فكرة كامل الأرض للفلسطينيين وضرورة تحريرها من المحتل المغتصب في العهد الناصري، جاءت فكرة حل الدولتين مع السادات ومبارك (بعد أن ظهرت بين عامي 1936 و1947 وعارضتها البلدان العربية)، حتى وصلنا في المرحلة الراهنة إلى رفض إسرائيلي لهذا الحل رغم المساعي المصرية والعربية.

وانطلاقًا من كون شخص رئيس الجمهورية، رأس النظام السياسي، هو عامل مستقل مؤثر في كافة مناحي الحياة السياسية والاقتصادية للبلاد، خصوصًا فيما يتعلق بالسياسة الخارجية المصرية تجاه القضايا الإقليمية والدولية، بصرف النظر عن أهمية أجندة السياسة الخارجية للدولة، والتي قد تصيغ شطرًا كبيرًا من توجهات الرئيس، فإن هذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن الاستجابة المصرية للقضية الفلسطينية والحلول المطروحة لحلها عبر خطابات رئيس الجمهورية في الفترة من 2014 إلى 2023، وذلك عبر فض اشتباك المصالح والالتزامات الوطنية مع السياقات الدولية والإقليمية.

وبحسب ذلك، تعتمد الدراسة على تحليل هذه الخطابات من أجل بيان مسارات الاستجابة المصرية بالقضية الفلسطينية وجهود التسوية التي يطرحها؛ أي مجمل الأفعال وردود الأفعال تجاه هذه القضية، وذلك بالنظر إلى المتغيرات الداخلية والخارجية والمصلحة الوطنية المصرية. وعلى هدي ذلك، استندت الدراسة إلى مقاربة منهجية تعتمد بشكل رئيس على التحليل النقدي للخطاب عند نورمان فيركلاف، حيث تم حصر كل الخطابات الرئاسية التي تحدثت عن القضية الفلسطينية من ساعة بدء كل حرب من الحربين الإسرائيليتين على غزة (2014 و2023) وحتى نهاية العام الذي حدثت فيه كل حرب منها (حتى 1 نوفمبر 2023)، وذلك

بناء على افتراض أن هذه الحرب ستجبر السياسة الخارجية المصرية على إعادة تصدير القضية الفلسطينية للمشهد، حتى لو لم تكن كذلك، وبالتالي نتوقع أن يكون هناك ثراء خطابي في هذه الأوقات، ومن ثم تم حصر عدد 6 خطابات في عام 2014، و3 خطابات في عام 2023.

وخلصت الدراسة إلى أن أهم أوجه الاستجابة المصرية للقضية الفلسطينية كما عكستها نصوص خطابات رئيس الجمهورية تمثلت في: الترويج للقضية والحق الفلسطيني في مختلف المحافل الدولية، التأكيد الدائم والمستمر على إقامة دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشرقية، الرفض القاطع لتصفية القضية الفلسطينية على حساب الدولة المصرية أو على حساب أية دولة أخرى. وكانا السياقان الاقتصادي والسياسي-الداخلي والخارجي- بمثابة محركين فاعلين للاستجابة المصرية للقضية الفلسطينية، حيث كانت السياقات الاقتصادية والسياسية حاضرة دائماً في خطابات رئيس الجمهورية، ومُشكلة للفعل وردود الفعل المصرية بشأن القضية الفلسطينية. فبالإضافة إلى المحددات الاقتصادية والسياسية الوطنية، وموازين القوى الدولية، كانت المصلحة المصرية الوطنية، فضلاً عن مصلحة النظام، هي أهم محددات السلوك الخطابي للرئيس، ومع ذلك، لم يغيب عن هذا السلوك مصلحة القضية الفلسطينية إبان الحروب التي خاضها الكيان الإسرائيلي المحتل ضد الشعب الفلسطيني، وبالتالي كانت هذه المصلحة محددًا آخر لهذا السلوك الخطابي للرئيس.